



التمايز في شرح العقيدة المسيحية

(٦)

بين الشرق والغرب

دكتور

رؤوف إدوارد

٢٠١٧

التمايز في شرح العقيدة المسيحية (٦)

بين الشرق والغرب

جسد المسيح في المفهوم الأرثوذكسي

المسيحي هو من ينتسب إلى المسيح ويؤمن أن المسيح هو الله الذي ظهر في الجسد وأنه هو ابن الله الأزلي الذي أرسله الآب إلى العالم وحلَّ بلاهوته في أحشاء العذراء القديسة مريم وأخذ منها جسداً بواسطة الروح القدس. ثم صُلب بإرادته وصعد بجسد القيامة المُمَجَّد ليجلس به عن يمين الآب، وأنه أكمل ذلك كله لنا ومن أجلنا وفينا نحن البشر ومن أجل خلاصنا.

ولأن جسد المسيح كان فريداً وليس من زرع بشر أي بدون تدخل رجل، بل من زرع الله أي بتدخل الروح القدس، لذلك يُعتبر جسد المسيح - كما كان جسد آدم الأول - أصلاً جديداً في ذاته لكل بشر مولود منه "لأننا أَعْضَاءُ جِسْمِهِ، مِنْ لَحْمِهِ وَمِنْ عِظَامِهِ" (أفسس ٥: ٣٠).

وعلى مثال آدم الأول الذي أخذنا منه جسدنا الأول الذي نسميه الجسد العتيق، وأخذنا فيه الطبيعة الساقطة بسبب عصيانه الله وبالتالي الموت، كذلك المسيح - آدم الثاني - صار كل ما أكمله المسيح في جسده - الذي أخذه من العذراء - محسوباً لنا لأنه أكمله من أجلنا وفي جسدنا. فقد صرنا شركاء في تجسده وموته وقيامته وميراثه في السماء " ... إِنْ كَانَ وَاحِدٌ قَدْ مَاتَ لِأَجْلِ الْجَمِيعِ، فَالْجَمِيعُ إِذَا مَاثُوا. وَهُوَ مَاتَ لِأَجْلِ الْجَمِيعِ كَيْ يَعْيشَ الْأَحْيَاءُ فِيمَا بَعْدُ لِأَنَّ نَفْسَهُمْ، بَلْ لِلَّذِي مَاتَ لِأَجْلِهِمْ وَقَامَ ... إِذَا إِنْ كَانَ أَحَدٌ فِي الْمَسِيحِ فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ: الْأَشْيَاءُ الْعَتِيقَةُ قَدْ مَضَتْ، هُوَذَا الْكُلُّ قَدْ صَارَ جَدِيداً". (٢ كورنثوس ٥: ١٧).

فتجسد المسيح وحلول الروح القدس على جسد المسيح في نهر الأردن إنتهاءً بالقيامة والصعود كان تأسيساً للإنسان الجديد فيه، عوضاً عن الإنسان العتيق نسل آدم الأول الذي أخذناه بالميلاد من الأب والأم. والمسيح يعطينا الشركة في هذه الطبيعة الجديدة - جسده المقدس - على مرحلتين، الأولى هي مانسميها الولادة الروحية من جسد المسيح الروحي في سر المعمودية ”لأنَّهُ كَمَا أَنَّ الْجَسَدَ (جسد الإنسان) هُوَ وَاحِدٌ وَلَهُ أَعْضَاءٌ كَثِيرَةٌ، وَكُلُّ أَعْضَاءِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ إِذَا كَانَتْ كَثِيرَةٌ هِيَ جَسَدٌ وَاحِدٌ، كَذَلِكَ الْمَسِيحُ أَيْضاً. لِأَنَّنا جَمِيعًا بِرُوحٍ وَاحِدٍ أَيْضاً اعْتَمَدْنَا إِلَى جَسَدٍ وَاحِدٍ. (جسد المسيح السري)“ (١ كو ١٢).

لذلك يرجع الروح القدس بعد أن فارق الإنسان بسقوط آدم الأول أبيه، ويعود ليسكن في الإنسان مرةً أخرى بعد أن تجدد في جسد المسيح أصله الجديد، وذلك يتم للمؤمن في سر مسحة زيت الميرون المقدس للطفل المُعَمَّد، فيصبح جسده هيكلاً جديداً للروح القدس. هذا هو معنى وحقيقة شركة المؤمنين في جسد المسيح ”هكذا نُحْنُ الْكَثِيرِينَ: جَسَدٌ وَاحِدٌ فِي الْمَسِيحِ“ (رومية ١٢:٥).

وهذا هو معنى وحقيقة أن الكنيسة هي جسد المسيح السري ”وَأَخْضَعَ (الآب) كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَ قَدَمَيْهِ (الإبن)، وَإِيَّاهُ جَعَلَ رَأْسًا فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ لِلْكَنِيسَةِ، الَّتِي هِيَ جَسَدُهُ، مِلءُ الَّذِي يَمَلَأُ الْكُلَّ فِي الْكُلِّ“ (أفسس ١:١٨). أما المرحلة الثانية فهي في اليوم الأخير حين تقوم أجساد المؤمنين بالمسيح على شبه جسد المسيح المُمَجَّد وقت أن قام بعد الصليب ”الَّذِي سَيُعَيَّرُ شَكْلَ جَسَدِ تَوَاضُعِنَا لِيَكُونَ عَلَيَّ صُورَةَ جَسَدِ مُجَدِّهِ“ (فيلبي ٣:٢١).

وقد يعترض أحد بالمنطق العقلي متسائلاً هل معنى هذا أن الكنيسة هي التي وُلِدَتْ فِي بَيْتِ لَحْمٍ وَهِيَ الَّتِي صُلِبَتْ عَلَى الصَّلِيبِ وَلَيْسَ الْمَسِيحُ، إِذَا كَانَ الْقَوْلُ إِنَّ الْكَنِيسَةَ هِيَ جَسَدُ الْمَسِيحِ السَّرِيِّ!! مِنَ الْوَاضِحِ مِمَّا سَبَقَ أَنَّهُ بَعْدَ قِيَامَةِ الرَّبِّ يَسُوعَ وَصُعُودِهِ إِلَى الْآبِ فِي الْمَجْدِ، صَرْنَا لَا نَعْرِفُ الْمَسِيحَ كظاهرة بيولوجية بل المسيح الروحي

”فَإِنَّ الْمَسِيحَ ... أَيْضًا تَأَلَّمَ مَرَّةً وَاحِدَةً مِنْ أَجْلِ الْخَطَايَا، الْبَارُّ مِنْ أَجْلِ الْأَثْمَةِ، لِكَيْ ... يُقَرَّبَنَا إِلَى اللَّهِ، مُمَاتًا فِي الْجَسَدِ وَلَكِنْ مُحْيِيًّا فِي الرُّوحِ“ (١ بط ٣: ١٨). لذلك قلنا أعلاه إن ولادتنا من جسد المسيح في المعمودية هي روحية ونسميها سر لأن الرب المتجسد يسوع المسيح هو الآن مستتر في مجد الله ”إِذَا نَحْنُ مِنَ الْآنَ لَا نَعْرِفُ أَحَدًا حَسَبَ الْجَسَدِ (سواء نحن أم المسيح لأن حياتنا الحقيقية مستترة في المسيح الروحي). وَإِنْ كُنَّا قَدْ عَرَفْنَا الْمَسِيحَ حَسَبَ الْجَسَدِ، لَكِنَّ الْآنَ لَا نَعْرِفُهُ بَعْدُ“ (٢ كورنثوس ٥: ١٦). لذلك يعلن لنا الكتاب المقدس أن شركتنا في جسد المسيح الحي الآن هي على مستوى الروح ومستترة في الله بالسر ”وَحَيَاتُكُمْ مُسْتَتْرَةٌ مَعَ الْمَسِيحِ فِي اللَّهِ“ (كولوسي ٣)، إلى أن تُسْتَعْلَنَ فِي الْقِيَامَةِ فِي الْيَوْمِ الْأَخِيرِ عَلَى الْمَسْتَوَى الْمَنْظُورِ الْأَخْرُوي. ومنذ الآن فإن المسيح يُحْوَلُ طبيعتنا الروحية نحن إلى حياته هو في الأسرار المقدسة كما سبق وشرحنا بعاليه.

وبنفس مفهوم الإيمان هذا، نتكلم عن سر تناول من جسد الرب ودمه (سر الإفخارستيا) أنه لا يندرج تحت المستوى البيولوجي حسب الجسد ولكن سرّيًّا بحسب الروح. فالروح القدس الذي كَوَّنَ جسد المسيح في أحشاء العذراء القديسة مريم، هو ذاته بالتقديس ينقل الخبز والخمر - مقدمة الكنيسة في الإفخارستيا - ليوحدها بالخبز السماوي، المسيح، المن العقلي، لتصبح مقدمة واحدة. ثم يَضُمُّنا الروح القدس إلى ذات الجسد. ففي القداس يحل الروح القدس على القرايين والمصلين.

فلنتبه يا أخوة إلى ما نتناوله في الإفخارستيا: ”هوذا كائنٌ معنا على هذه المائدة الآن عمانوئيل إلهنا“. فإن المسيح منذ الآن يُحْوَلُ طبيعتنا الروحية نحن إلى حياته هو بتناولنا من ”خبز الحياة“ الإفخارستيا، وليس العكس بأن يتحول هو إلى جسدنا.

ومرة أخرى قد يتساءل الفكر العقلي المادي بأنه إذا كانت الكنيسة هي جسد المسيح فإن الكنيسة تأكل نفسها في الإفخارستيا. وهو لا يختلف عن قول أحد غير المسيحيين (أنهم يُحَضِّرُونَ جسد إلههم ثم يأكلونه). إن إيماننا الأرثوذكسي وبحسب الإنجيل

يعلمنا أننا - الكنيسة - بالتناول نتثبت في المسيح أصلنا الذي هو أصل الكنيسة بحسب قوله - له كل المجد - " ... أَنَا الْكَرْمَةُ وَأَنْتُمْ الْأَعْصَانُ ... أُثْبِتُوا فِيَّ وَأَنَا فِيكُمْ ... " (يوحنا ١٥) فهو الأصل ونحن نتطعم فيه.

إن تجسّد الله الكلمة وحلوله في أحشاء العذراء هو مقدمة لحلوله فينا. فاللاهوت لم يَحَلَّ بالتجسد الإلهي لكي يبقى حلولاً قاصراً على الرب يسوع وحده. فعندما يسكن ويحلّ اللاهوت فينا - في المسيح - نُعْطَى "التبني" لله الآب في المسيح والقيامة من الأموات وشركة الحياة الأبدية. إن علم لاهوت العصر الوسيط في أوربا يقول بأن بمجرد سكني أو حلول اللاهوت في الإنسان يتحول إلى إله. بينما اللاهوت الشرقي يؤمن بأن إتحاد اللاهوت والناسوت في المسيح هو إتحاداً إقنومياً. أما الإنسان فاللاهوت يَحَلُّ فيه كنعمة على قدر إستيعاب الطبيعة الانسانية. فإن أفعال المسيح الإلهية تَمَّتْ إنسانياً أي من خلال ناسوته. أما في حالتنا فأفعالنا الإنسانية تأخذ معونة من النعمة الإلهية.

إن بشرتنا قد تمتلئ منه، لكن يظل الإبن خالق والبشر خليقته. هو واهب الحياة أما نحن فنأخذ نعمة الحياة والقيامة منه ولا نقدر أن نوهبها أو نعطيها إلا من خلاله لأنه هو المصدر. هو وحده الواحد مع الآب والروح القدس في الجوهر أما نحن فنتشبه بتلك الوحدة على قدر ما تعطينا النعمة، ولكن يظل الفرق بين الأصل والصورة بين الطبيعة والنعمة الممنوحة. [معروفٌ في تقليدنا اللاهوتي الأرثوذكسي أن العلاقة الطبيعية التي كانت قائمة بين العذراء وإبنها الإله المتجسّد لم تُضيف على شخصية العذراء حالة إشتراك في طبيعة المسيح الإلهية حتى بالرغم من حلول الروح القدس عليها أولاً، الذي أعدّها فقط لحمل الإله، ولكن لم يهبها إمتياز الشركة في طبيعة الله (٢ بط ١ : ٤)، التي ظلّت تنقصها وتنتظرها بالصلاة إلى أن نالتها مع الرسل يوم الخمسين بمعمودية الروح القدس ونار (أع ٢ : ٤،٣) حسب وعد الآب، ثم بالشركة في الجسد والدم في سرالإفخارستيا (أع ٢ : ٤٢). وحينئذ فقط كُملت قامة العذراء مريم إلى قامة ملء المسيح إلى إنسان كامل في المسيح يسوع].

وبسبب تعليم لا يُتُّ للمسيحية بِصلة بأن الله لا يسكن ولا يحل فينا ولا يمكن أن نشترك فيه لأننا خطاة فإنهم إتجهوا إلى مفهوم ”حلل الثبات“. لذلك تجد الأفعال اليونانية والقبطية الخاصة بالسكني والحلول في العهد الجديد والتي تفيد كينونة الرب يسوع (أي وجوده الذي نحن نثبت فيه) قد تحولت إلى فعل آخر في الترجمة البيروتية يختص بالثبات: ”من يأكل جسدي ويشرب دمي يكون فيّ وأنا أكون فيه“ {ترجمة يونانية/ قبطية}. ”من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيّ وأنا أثبت فيه“ (يو ٦: ٥٦) {ترجمة بيروتية}. ”وليس لكلمته كائنة فيكم“ {ترجمة يونانية/ قبطية}. ”وليس لكلمته ثابتة فيكم“ (يوحنا ٥: ٣٨). {ترجمة بيروتية}.

وأخيراً لجأوا إلى مفهوم ”الحلول المواهي“. أي أن الأقتوم الإلهي لإبن الله أو الروح القدس لا يحل فينا بل فقط مواهبه. والآيات كثيرة لتنفى هذا الفهم (رو ٨): ”وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلَسْتُمْ فِي الْجَسَدِ بَلْ فِي الرُّوحِ، إِنْ كَانَ رُوحُ اللَّهِ سَاكِنًا فِيكُمْ. وَلَكِنْ إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَيْسَ لَهُ رُوحُ الْمَسِيحِ، فَذَلِكَ لَيْسَ لَهُ“. ”وَإِنْ كَانَ رُوحُ الَّذِي أَقَامَ يَسُوعَ مِنَ الْأَمْوَاتِ سَاكِنًا فِيكُمْ، فَالَّذِي أَقَامَ الْمَسِيحَ مِنَ الْأَمْوَاتِ سَيُحْيِي أَحْسَادَكُمْ الْمَائِتَةَ أَيْضًا بِرُوحِهِ السَّاكِنِ فِيكُمْ“. حيث تشير الآيات إلى أن دليل سكني الروح القدس فينا هو قيامتنا. ولكن قيامة المسيح من الأموات وبالتالي قيامتنا (فيه)، ليست عمل مواهي بل نتيجة سكني وحلول أقتوم من هو الحياة ذاتها. هذا الإيمان يؤكد كينونتنا في الرب وأن ”المسيح لا يمكن أن يُعطي للمؤمنين أكثر مما أعطى، لأن كل من هو في المسيح فهو مملوء من فيض ألوهيته“ (منسوب إلى ق. أمبروسيوس أسقف ميلان).

والسبح لله. (يُتبع)

بقلم : د. رعووف ادوارد.